النحو التعليميّ، كتاب (كيف تتقن النحو؟) أُنموذجًا

مراجعة مقال Subject Rview

أ.م. د. حسام قدوري عبد

husam.qaddoori@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد) للعلوم

الملخص

تبدو مقاربة الكتب التعليمية الخاصة بكتب النحو العربي مهمة؛ كونها تسعى في غايتها إلى تركيز مفهوم تيسير النحو العربي لطلابه مما يستدعي اللجوء لأفضل الطرق التعليمية في إيصال المادة النحوية الصعبة للطلبة. وكتاب (كيف تتقن النحو؟) لأحمد إسكندر تجربة عملية مهمة؛ كونها تجربة تحاول إشراك الطالب في هضم المادة وتمرينه على التفاعل الإيجابي في الاطلاع والتعلم. والكتاب مطبوع في مصر في سنة ٢٠٢١ ميلادية في طبعته الأولى، وقد تجاوز الطبعة الثامنة سنة ٢٠٢٢ ميلادية، وهذا يعني صدور ثماني طبعات في سنتين بما يشير للطابع التجاري في الكتاب.

وهذا المقال يحاول إبراز ملامح القوة والضعف في هذا الكتاب التعليمي مستعينا بالتحليل، والنقد في سبيل ذلك.

الكلمات المفتاحية: النحو، الاتقان، التعليم.

مراجعة مقال Subject Rview–

Educational grammar: The book "How to Master Grammar?" as a model

Asst. Prof .Dr. Hussam Qaddoori Abed

University of Baghdad / College of Education (Ibn Rushd) for Humanities

Abstract

The approach to Arabic grammar textbooks appears crucial, as their goal is to simplify Arabic grammar for students. This necessitates employing the best teaching methods to convey complex grammatical material.

The book "How to Master Grammar?" by Ahmed Iskandar is a valuable practical example, as it attempts to engage students in absorbing the material and train them in positive interaction during reading and learning. The book was first published in Egypt in 2021 and went through its eighth edition in 2022, meaning eight editions in just two years, indicating its commercial nature.

This article attempts to highlight the strengths and weaknesses of this educational book through analysis and critique.

Keywords: Grammar, mastery, education.

يعتمد الكتاب في تقسيمه وشرحه على أسلوب المخططات والجداول المبسطة في العرض، وهو ما يجلب اهتماما من الطالب في تقبل المادة العلمية، ويعتمد الكاتب على ضخ المادة بشكل متسلسل يضمن عدم انقطاع الطالب في تذكر المواد. ويحاول الإفادة من تجربته المهنية في سد الفراغ الذي يحصل من غيابه بما يجعل الطالب عالما ومتعلما في وقت واحد؛ وهذا الأسلوب رغم كونه مهما لكنه يغفل القدرة التعليمية لدى الطالب؛ لأن الطالب لا يملك الخبرة الكافية في الأخذ والإيصال.

يعتمد منهج كتاب "كيف تتقن النحو؟" على المنهج التطبيقي العملي في تدريس قواعد الإعراب، حيث يركز تركيزاً مباشراً على كيفية تحديد الحالة الإعرابية وعلامتها بدلاً من مجرد سرد القواعد النظرية. وتبدو عتبة النص في اختيار عنوان يجلب الاهتمام من خلال طرح التساؤل الذي يحمل في طياته حكما مسبقا بكون الطالب ضعيفا في الإعراب، وهذا الكتاب سيمنحه القدرة على تجاوز هذا الضعف، ويجعله متقنا له. وهذا النوع من العنوانات يبدو ترويجيا تجاريا أكثر من كونه ثقافيا تعليميا.

يبدأ الكاتب مقدمته المختصرة بقوله: "فهذا كتابٌ جمعتُ فيه قواعد النَّحو العربي بطريقة جدوليَّة مبسَّطة، واستدللتُ على كلِّ قاعدة بآيات من القرآن الكريم، وكلُّ درسٍ لخصته في خريطة ذهنيَّة" فذكر اعتماده على الخرائط الذهنية في الطرح والشرح، ثم لخص الدوافع التي حدت به إلى التأليف، فقال: " وقد رأيت بدافع المسؤوليَّة أن أضع هذا الكتاب؛ ليكون عونا لطلاب العلم الأعزاء نحو لغتنا العربيَّة التي كرَّمها الله – سبحانه وتعالى –" ثم ذكر طبيعة المادة التي ستكون الشواهد عمدتها، فقال: " وأكثرت من شواهد القرآن الكريم، وذلك لاعتقادي أنَّ اللغة العربيَّة وعاء القرآن الكريم، وبعض من الأحاديث النبويَّة الشريفة من متن الأربعين النوويَّة ، وبعض من شعر المعلقات، والأمثلة التثريَّة اليسيرة التي تضاهي عصرنا اليوم" وبي الكاتب قيمة اهتمامه بالإعراب فقال: " وتختلف اللغة العربيَّة عن معظم اللغات بعلامات الإعراب، وهذه العلامات

تؤدي دورا مهما في تقييم النَّص العربي، فهي المدخل إلى القراءة الصَّحيحة، والعبارة السَّليمة"، وأسهب في بيان هذه النقطة، وسبب اختياره لهذا العنوان، فقال: " ويمكنني القول: إنَّ الإعراب يربي في الطلاب القدرة على التحليل، والاستنباط، وينمي فيهم دقة الملاحظة؛ لذلك سلكت في كتابي: (كيف تتقن النحو؟) منهجين: المنهج النَّظريَّ، والتَّطبيقيَّ العمليَّ، وقسَّمته إلى عشرة فصول، والفصول تنقسم إلى مباحث، ويجب علينا جميعا أن نسعى طوال الوقت للحفاظ على اللغة العربيَّة؛ لأنَّها لغةٌ مقدَّسةٌ عظيمةٌ وهي مصدر الفخر لنا؛ فعلينا أن نشجِّع المبادرات التي تدعم نشر اللغة العربيَّة، ونعمل على توعية الأجيال القادمة بأهميَّة اللغة العربيَّة".

أولا: بناء الكتاب، وهيكله:

ينماز الكتاب بهيكل منهجي منظم وواضح ويعتمد في تسلسله على المعروف من المادة النحوية التي تبدأ بتقسيم الكلمة على أقسامها الثلاثة الرئيسة: الاسم، والفعل، والحرف. ويحدد لكل قسم علاماته المميزة، ثم يبدأ بالمرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات، وهذا التقسيم يعود لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه المعروف (اللمع).

والسؤال الأكثر أهمية في محاولة التجديد، أو التيسير المنشودة في جدوى البقاء على هذا التقسيم الذي يتجاوز عمره الألف عام، ومدى اتساقه مع حاجات العصر الحديث، وتجاوبه مع العقلية التي يمتلكها الطالب في يومنا هذا.

ومحاولات التيسير المتكررة لم تتجاوز حدود البناء الذي وضعه الأقدمون، وهو بناء متسلسل لكنه يتصف بالتقاطع في العلاقات الكلية بين المواد، فالطالب في بداية كتاب تعليمي مشهور كشرح ابن عقيل لا يعي ارتباط موضوع (أنواع التنوين) الذي هو في أول الجزء الأول من الشرح بموضوع (الممنوع من الصرف) الذي يأتي في الجزء الرابع منه، ولا يعي مدى العلاقات الترابطية بين موضوع (المبتدأ والخبر)، وما يليه من النواسخ في جزئياته التفصيلية.

ويمكننا القول: إن أي محاولة للتيسير لا تقدر مدى تلك العلاقات التكاملية بين موضوعات النحو ستظل محاولات تجتر تجارب سابقة لها تتسم بالتسرع، وعدم الحيوية، وستكون عرضة للانتقاد والفشل فيما بعد.

ثانيا: النجاح في التنظيم والتبسيط:

يقدم كتاب (كيف تتقن النحو؟) مجموعة من الأشكال التعليمية التي تساعد الطالب على الاطلاع والحفظ، ويمكننا إبراز بعض تلك الملامح المتعلّقة بهذا الأمر:

- **التكثيف والجداول: يقدم الكتاب في ملخصات تتصف بالتكثيف، وقوائم لكل موضوع نحوي على حدة؛ كالعلامات الإعرابية الأصلية والفرعية. هذه الجداول تعد وسيلة فعالة للطلاب لـلمدارسة، والحفظ بسرعة.**

- **الاعتماد على الأمثلة القرآنية، والشواهد التي توضح المعلومات النحوية على وفق هذا الأسلوب تمنح الطالب حيوية فهم النحو خلافًا للأمثلة التقليدية، فهي تنمي قدرة الطالب على الاستذكار بسبب النص القرآني من جهة، والقدرة على محاولة تقليدها ومحاكاتها من جهة أخرى.**

• التدريبات التطبيقية: يشمل الكتاب تدريبات عملية مثل ("تأكد من إجابتك" و"أجب بنفسك") التي تتطلب من المتعلم إعراب كلمات محددة من آيات قرآنية. هذا الأسلوب يضمن تثبيت المعلومات من خلال الممارسة.

ثالثًا: النجاح في التحليل الدقيق:

يمكننا ملاحظة بعض السمات المنهجية أو مجالات التوسع التي قد تكون موجودة في الكتاب، ويعد كتاب "كيف تتقن الإعراب؟" مرجعاً ناجحاً جداً في الجانب التطبيقي للإعراب؛ منها:

- **نجاح الأسلوب:**

يستخدم الكتاب أسلوباً تعليمياً فعالاً من خلال تكرار نمط التعريف والإعراب والأمثلة القرآنية، مما يجعله مناسباً للمتعلم الذي يبحث عن التطبيق المباشر لقواعد الإعراب بدلاً من التعمق في الخلافات النحوية. إن قدرته على

- **تلخيص القواعد في جداول وخرائط ذهنية (مثل تلخيص أقسام الكلمة وعلامات الإعراب)** وغير ذلك. **وتعد سمة منهجية قوية تسهل الفهم والمراجعة.**

- **دقة التحليل:**

يظهر التحليل دقة عالية في التعامل مع الحالات الاستثنائية والمعقدة، خاصة في شروط إعراب الأسماء الخمسة، وإعراب الملحقات، والتمييز بين جمع المذكر السالم وجمع التكسير، مما يمنع المتعلم من الوقوع في الأخطاء الشائعة.

- **مقارنة واستنتاج (صورة توضيحية للمنهج):**

يمكن النظر إلى المنهج المتبع في الكتاب على أنه أشبه ب "دليل مرجعي تفصيلي لفك شفرات الإعراب الاسمي". فبدلاً من تقديم القواعد النحوية على شكل نظرية متراكمة، فإنه يقدمها على شكل "وصفات" جاهزة وواضحة تحدد علامة الإعراب بناء على نوع الكلمة (مفرد، مثنى، جمع مذكر، إلخ). ومع ذلك، فإن نجاحه في تحليل الكلمة الفردية يحتاج إلى أن يستكمل بنجاح مماثل في تحليل الجملة الكاملة ليكون مرجعاً نحوياً شاملاً.

رابعا: الخرائط الذهنية.

يرتكز الكتاب على الخرائط الذهنية في بنائه، وشرحه، ويظهر ذلك في صنعه لخريطة ذهنية أولى تحاول إبراز ملامح الكتاب لدى القارئ، ومن ثم الولوج إلى الموضوعات الكلية والجزئية لمادة النحو العربي.

وتكمن قيمة الخرائط الذهنية في قدرتها على عرض المادة العلمية بشكل يختلف عن العرض الكتابي التقليدي الذي يعتمد على تدفق النصوص بشكل متسلسل، وكذلك في قدرتها على التلخيص المكثف لتلك المادة المقروءة. وتهدف الخرائط الذهنية في مادة النحو العربي على صنع جذب بصري مباشر تجاه رؤوس الأقلام التي يجب اتّصافها بالدقة، والتلخيص لأمهات المسائل النحوية.

ولكن الضعف المرصود في هذا الكتاب إغراقه بكثرة بالخرائط الذهنية، وهذا الأمر سيخلق تشتتاً بصريا لدى الطالب، فالإكثار من الأشكال المتشابهة سيخلق إرباكاً بصريا بما يضعف قدرة الطالب في الفرز والوصول لكل خريطة على حدة.

خامسا: التسلسل المنطقي في التعليم:

يعتمد الكتاب على أسلوب جيد في تسلسل طرح المادة النحوية، يبدأ بالعرض الأولي للموضوع، ثم ينتقل إلى الخلاصة، ومن ثم يذكر تدريبا للموضوع، ويختمه بتذكير مكثف للمادة المدروسة.

ويبدو أن هذا الأسلوب يخص المدرس الذي يعلّم طلبته للمادة، وليس للطلبة أنفسهم، لكننا لو أخذنا بنظر الاعتبار أن يقوم الطالب بالتعليم الذاتي فإن الخبرة والتفوق في القدرة على إعادة إنتاج المادة المدروسة سيكون شرطاً رئيسا، وهو على الرغم من كونه نافعا لكنه سيكون نسبيا؛ بسبب اختلاف مستويات الطلبة. ومما يؤخذ على الكاتب أنه لم يضع جدولاً زمنيا محددا لكل مادة في التعلم؛ فمواد النحو العربي تختلف من مادة لأخرى.

والكتاب على ما فيه من ثغرات يمثل تجربة تحاول نقل علم النحو من التجربة النظرية إلى واقع عملي يمكن تطويره على وفق التقنيات الحديثة التي تسود عالمنا اليوم كالذكاء الصناعي، ووسائل التوضيح الأكثر تطورا كالانفوكرافيكInfographic ، وشرائح العرض التقديمي PowerPoint، بما يضمن تجاوز شكل المادة المدروسة في طريقة العرض، مع مراعاة مضمونها والميل للترابط التكاملي بين جزئيات المواد النحوية الذي أشرنا إليه.

التوصيات:

- مراعاة التطور التقني في تدريس اللغة العربية.
- مراعاة الوعي بالثقافة المعاصرة لكل جيل في تأليف المنهج، أو الكتاب التعليمي، ولا سيما قواعد اللغة العربية وعلومها.

المصادر:

- إسكندر، أحمد، كيف تتقن النحو؟، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، مصر، ط/٨، ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م.